جمعية الدعوة والتعليم
باللغات الأفريقية
Da'wah and Education in African Languages

الثقافة الإسلامية

منهج مخصص للدورات الشرعية القصيرة

إعداد جمعية الدعوة والتعليم باللغات الأفريقية

فضـــــل العلـــــم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم.

أولاً: تعريف العلم وبيان مفهومه:

لا يراد من هذا التعريف الدخول في اختلافات الأصوليين والمناطقة، وعليه فيمكن تعريف العلم بأنه: "إدراك الشيء على ما هو عليه"، أو هو: "ضد الجهل" وبضدها تتبين الأشياء.

وأطلق العلم على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، والعالم على العارف ذي الفهم لنصوص الشرع حفظًا وإدراكًا واستيعابًا وعملًا ودعوة.

ثانيًا: أقسام العلم:

ينقسم العلم بمفهومه العام إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: علم الوسائل: والمراد به العلوم التي لا تراد لذاتها، وإنما هي وسائل لتحقيق الأهداف. ويدخل في هذا جميع العلوم الخادمة للنشاط الاقتصادي البشري من زراعة وتنمية وصنائع؛ إذ غرضها تحقيق الوسائل الضرورية والحاجية والكمالية للحياة البشرية المكرمة بالتكريم العام بالآدمية.

القسم الثاني: علم الأهداف (علوم الغايات): والمراد بها العلوم التي تدل على مغزى نشأة الكون وإيجاد الإنسان وخلق الخلق، أي: لماذا خلق الله تعالى الإنسان؟ ولماذا أوجد الحياة؟ ولماذا خلق ما يعج به هذا الكون وتسخيره لهذا الإنسان؟

وهذا العلم هو الذي جاء الوحي ليجيب على أسئلته الكبرى، ويبين تفاصيل التكاليف، وحمل الأمانة، وتحمل المسؤولية. ودلت دلائل العقل وبراهين العلم، ولا تزال تدل ويتجدد برهانها على الغايات الكبرى لهذا الكون.

وحيث يطلق العلم غالبًا في الوحي، فإنما يراد به هذا العلم، وأهله أهل الفهم عن الله تعالى. فنسبته إلى العلم الآخر كنسبة الهدف إلى الوسيلة كما تقدم.

وهناك تعريفات وتقسيمات أخرى، لكنها عند إمعان النظر لا تخرج عن هذين القسمين الأساسيين، وبالله التوفيق.

ثالثًا: فضل العلم:

إن الكلام على فضل العلم وأهميته من الأمور التي علمت واستقرت عند الجميع - علماء وطلاب علم وكذا العامة من الناس.

وآيات الكتاب العزيز، ونصوص الأحاديث النبوية الشريفة، وشواهد العقل ناطقات جميعًا بفضل العلم، مما لا يسع المقام للتفصيل فيه. لكن يمكن ذكر جمل من ذلك، وللتوسع يرجع إلى أقوال المفسرين والمحدثين عند تعرضهم لهذه الآيات والأحاديث، وكذا الكتب المخصصة لذلك مثل كتاب (جامع بيان العلم وفضله) لحافظ المغرب الأندلسي أبي عمر ابن عبد البر.

فمن ذلك رفع منزلتهم، حيث جعلهم الله تعالى بعد الملائكة مباشرة في الإقرار والعلم واليقين بالحقيقة الكبرى وحدانية الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. كما

بين الله منزلة العلماء في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فتأمل عظمة هذا التكريم وفضل هذا الوسام.

وأما الأحاديث، فمنها حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ) رواه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢).

وحديث: (فضلُ العالمِ على العابدِ كفضلي على أدناكم) رواه الترمذي(٢٦٨٥). وغيرها من الأحاديث المتكاثرة إلى حد التواتر.

رابعًا: ثمرات العلم وفوائده:

إن الكلام على فوائد العلم وثمراته يستنبط مما تقدم من ذكر فضل العلم وأهله. وعلى العموم يمكن إيجاز هذه الثمرات فيما يلي:

- معرفة الله سبحانه وتعالى.
- نيل رضوان الله تعالى، والفوز بمعيته وقربه، والفهم عنه سبحانه.
- التحقق بصفة العالمية التي خاطب الله تبارك وتعالى بها أهلها وزكاهم، ونوه بهم، وأحال إليهم في معرفة وحل كثير من المعضلات.

- كسب الأجر الطيب والذكر الحسن؛ إذ عبادة العالم لا تقاس بعبادة غيره، وأيضًا يكسب عظيم الأجر بما ينفع به الناس من التعليم والدعوة، وتقريب الناس إلى باب الله تعالى.
- خشية الله تعالى، وقد قصرها الله تعالى حصرًا على العلماء في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]. وأشار إلى هذه الخشية في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وغيرها من الثمرات التي يضيق عنها المقام.

خامسًا: نماذج من العلماء وصفاتهم:

إن تاريخنا وواقعنا – ولله الحمد – مليء برجال العلم المتقين وشموسه المضيئة، التي كانت مثالًا يُحتذى، وسراجًا يضيء للناظرين ويهدي الحائرين. فسمتهم ضياء، وكلامهم ذخر وأجر ودعوة ودعاء. وقد أُلِّفت في ذلك الكتب والموسوعات الكبرى مثل (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي، و(صفة الصفوة) لعبد الرحمن بن الجوزي، و(حلية الأولياء) لأبي نعيم، بالإضافة إلى جميع كتب الطبقات: طبقات القراء، طبقات المحدثين، طبقات الفقهاء. وربما خُصصت لمذهب فقهي كـ (طبقات الحنابلة) و(طبقات المالكية) و(طبقات الشافعية)، و(شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان. وكذلك الكتب المخصصة كما فعل ابن الجوزي حيث خصص كتبًا لبعض العلماء الأمراء كسيرة عمر بن عبد العزيز، وسيرة الحسن البصري، وغير ذلك كثير يضيق المقام عن تفصيله.

خاتمة:

بعد هذه الإطلالة الموجزة، نسجل الخلاصات التالية:

أولاً: أن العلم النافع هو علم الوحي، وأن نسبة غيره من العلوم إليه كنسبة الوسيلة إلى الهدف.

ثانيًا: أن أقسام العلم قد تكون عامة، فينقسم إلى علم هدف (وهو علوم الوحي)، وعلم وسيلة (وهو العلم الدنيوي). وتكون خاصة فتشمل أنواع علوم الشرع من قرآن وحديث وفقه وأصول ولغة وغير ذلك.

ثالثًا: أن العلم أفضل ما يشتغل به الإنسان، وأمثل ما يتحقق به المرء ما كان علمًا نافعًا يعلمه ويعمل به، كما في الحديث: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) رواه البخاري (٥٠٢٧).

رابعًا: أن التراث الفقهي الإسلامي مليء بالذخائر التي تروي لنا قصصًا فيها العبرة والذكرى لعلماء الأمة الأجلاء.

التمسك بالكتـــــــاب والسنة

إن الله تعالى حكيم لا معقب لحكمه، جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان ولذلك اقتضت حكمة الله أن يجعل الكرامة فيها لأهل لإيمان والشقاء لأهل الكفر ولم يجعل المال معيارا للفضل فيها ولا الفقر وإنما التقوى هي المعيار.

ولما كان الابتلاء سنة إلهية لا مبدل لها اقتضت رحمة ربنا الرحيم أن يمن على عباده وهم في خضم هذا الموج بسفينة التمسك بالكتاب والسنة ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه الذي قال فيه: (وَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا. قَالَ: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤).

وقد جاءت آيات الكتاب العزيز حافلة بهذا المعنى:

(وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [فصلت: ٤١-٤٢]

(وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) الأنعام ١٥٥

(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) [الإسراء: ٩]

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَا) [الكهف: ١]

(فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةَ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ) [طه: ١٢٣-١٢٤]

وقد وصف الله رسوله بقوله: (وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ) [الشورى: ٥٢-٥٣]

وأمر بطاعته فقال: (وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ) [النور: ٥٤]

(وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ) [المائدة: ٩٢]

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي التمسك بسنته الهادية إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، وقد جعل الله تعالى كتابه نورا وهدى، وجعل نبيه صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا لمن اهتدى، فقد أفلح وأنجح وأربح من تعلم علم الكتاب العزيز المتين، وهدي النبي الكريم الشريف، وتمسك بهما، ودعا الناس إليهما.

إن ذلك بحق هو تمام الأمان وسبيل السلام وطريق النجاة من جميع الإبتلاءات وموج بحر الفتن ولاسيما في زماننا هذا الذي عمت فيه الفتن، وتحقق قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) رواه مسلم (١١٨).

كنا نقرأ هذا في الحديث وها هو اليوم يتحقق مع الأسف في كثير من البلدان حيث تغزوهم منظمات التنصير فتصدهم عن دين الله القويم، وتزين لهم الباطل وتسرق عقولهم بالمساعدات

المادية التافهة وتستغل فيهم جوانب الضعف الإنساني من فقر وجهل ومرض فتبث فيهم سموم الأفعى، ليصير الأمر في النهاية – نعوذ بالله – أن يبيع المسكين دينه مقابل دراهم معدودة ويخسر جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

إن التمسك بالكتاب والسنة هو الملجأ الوحيد بإذن الله تعالى لكل من يريد النجاة من هول هذه الفتن التي يرقق بعضها بعضا، وليهلكن فيها أقوام لبعدهم عن الكتاب والسنة وتعلقهم بالشهوات الفانية، والشبهات التافهة.

فلا يستخفنكم شياطين الإنس، فإنهم أحيانا أشد إضلالا وفتنة من شياطين الجن، ووسيلتهم زخرف القول الساحر الجميل الظاهر، لكن باطنه سم زعاف وموت زؤام.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ جميع المسلمين والمسلمات من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا من المتمسكين بكتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

التقـــــوى أســـــاس التفـــــاضـــل

إنه مما لا يخفى على أولي الألباب الذين آمنوا أن الاعتبارات البشرية والمعايير المادية لا تغني من الله شيئا ما لم يتوج صاحبها بتقوى يزينه ويصونه، وأن من لم يسرع به عمل التقوى اجتنابا وامتثالا فلا ينفعه إسراع النسب فهو من المتأخرين بل يخاف عليه أن يكون من الخاسرين.

وقد قال الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام في شأن ابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦].

فمعايير أهل الجهل والغفلة التي إليها يحتكمون و بها يقيسون، لا اعتبار لها عند أهل التحقيق ما لم يتحقق صاحبها بالتوفيق للتقوى والعمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وقد جاءت هذه الآية الكريمة المنيعة ردا على قول أهل الباطل فيما قال الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

هذا وقد أقام الله الإنسان في الدنيا لما فيها من المصالح التي في حكم الوسائل والأهداف وجعلها روابط خاصة بالحياة الدنيا وأثاب على صلة الأرحام، ورتب التعارف على الشعوب والقبائل، وحين تنتهي هذه الحياة الدنيا تختفي الأسباب تماما لأنها كغيرها من الروابط المادية

بتلاشي هذا الكون الفاني واسمع إلى قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال سبحانه منبئا عن تقطع أواصر الخلة والشفاعة والعلاقات المادية والمالية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ولايبقى في الأواصر والروابط إلا أصرة التقوى، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقد جاء إعلان هذا المبدأ صريحا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن هذه الآية مبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى وقاعدة من قواعد القرآن الكريم الأساسية التي تؤسس لمنهج الإسلام في اعتبار الفضل، فتأمل كيف أن الله تعالى ذكر تقسيم البشر إلى ذكر وأنثى ثم تقسيمهم في البعد الآخر إلى شعوب وقبائل.

ثم بين أن وظيفة هذا التقسيم مقصورة على التعارف وما يتعلق به، وأنه لا قيمة لها في حكم التفاضل والكرامة عند الله تبارك وتعالى.

هذا وتنقسم الكرامة والتفضيل البشري إلى قسمين تكريم عام لجميع بني آدم، وهو ما نسميه الكرامة الإنسانية، وهو المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ

وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا) [الإسراء: ٧٠].

وأما التكريم والتفضيل الخاص فهو المذكور في آية سورة الحجرات المتقدمة: (إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ) [الحجرات: ١٣].

وعلى هذا المنهج سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الراشدين المهديين، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه يحل من رسول الله المحل الأسمى والمكان الأسنى، وكذا عمر الفاروق رضي الله عنه، وبعدهما ابني عمه الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

فقدم أبابكر الأتقى على الجميع وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى أساس التفاضل بين صحبه، فكان يقدم أهل السابقة في الدين من المهاجرين والأنصار على من سواهم.

وعلى ذلك سار خلفاؤه الراشدون من بعده، فهاهم سادة قريش يطيلون الجلوس عند باب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهم من هم سهيل بن عمر وأبو سفيان بن حرب وغيرهم فيدخل قبلهم من كانوا في قبضتهم وتحت حكمهم بلال وعمار وسهيل، فيتراجعون الحديث ليخرجوا بقول فصل من حكيم قريش سهيل بن عمر: (نحن من أخرنا أنفسنا، دعوا فلبوا، وأسرعوا إلى الهدى، وأبطأنا).

التـــكافـــــل والتعـــــاون

إن الله سبحانه بنى هذا الكون وسيره بطريقة منظمة متناسقة كل يعمل حسب نظام مرسوم لا يتغير ولا يتبدل وجعل الناس متعاونين حتى ولو لم يقصدوا ذلك فالعامل في أي عمل وهو ينوي كسب رزقه إنما يعمل لصالح الناس أيا كان عمله وأيا كانت وظيفته ولذلك فإن البشر لا أحد منهم يملك الغنى بنفسه وقد ضرب ابن خلدون لذلك مثلاـ قوت يوم من الحنطة ـ فإن إعداده يقتضى كثيرا من الصنائع لا يمكن لأي إنسان أن يوفرها بنفسه دون التعاون مع بني جنسه وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الناس للناس من بدو ومن حضر بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولما كان هذه التعاون ضروريا فإن الإسلام وهو دين الفطرة الواقعي أمر به في القرآن قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ) [المائدة: ٢].

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ) رواه مسلم (٢٦٩٩).

وهذا التعاون جزء من ديننا وواجب علينا وفي إطاره تندرج كثير من فرائض الإسلام وتعاليمه فالصلاة نظام فريد للتعاون لأن المسجد يجمع أهل القرية وأهل الحي خمس مرات يوميا

وهي فرصة ليتعلم الجاهل من العالم ولينفق الغني على الفقير وليساعد كل صاحب خبرة غيره من المحتاجين إلى تلك الخبرة وليتم تبادل جميع المنافع وقل مثل ذلك في بقية فرائض الإسلام وتعاليمه ونظام الأسرة في الإسلام نموذج رائع للتعاون بين الرجل والمرأة في إقامة البيت المسلم النموذجي فللرجل واجب وللمرأة واجب وبأداء كل منهما لواجبه على أحسن وجه يتم بناء البيت المسلم.

ولما كان التعاون على هذا القدر من الأهمية فقد تعبدنا الله أن نسأله كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم وذلك لعلمه سبحانه وتعالى بحاجتنا الماسة إلى العون وهذا ذو القرنين على ما رزقه الله من القوة يطلب على تنفيذ سده (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ) [الكهف: ٩٥-٩٦].

فالتعاون إذا ضرورة اجتماعية وعبادة يتقرب بها إلى الله تعالى قد تكون في بعض الأحيان أوجب من الفرائض خاصة إذا تعلق الأمر بحياة الناس ومصالحهم العليا ومن الفقه في الدين فهم هذه الحقيقة والعمل عليها وهو أمر يجعل العامل يقبل على عمله الخاص بنية العبادة وخدمة الناس لا بنية لقمة العيش فقط، ولهذا فقد حرم الله كل الأعمال التي تضعف الثقة بين المسلمين لأن ضعف هذه الثقة ينعكس سلبا على روح التعاون ومن هذه الأعمال الغيبة والنميمة والحسد.

خطـورة الغيبـة والنميمـة والحسـد

الإسلام دين أخوة وتأليف يسعى لنشر المحبة بين المسلمين جميعا

ولهذا كان أي أمر ينافي هذا المقصد هو جريمة بمنطق الشريعة سواء كان اعتقادا أو قولا أو فعلا وفي هذا السياق تندرج الرذائل التالية:

الغيبة والنميمة والحسد

وهذه الثلاثة ستكون موضوع هذا الدرس

أولا: الغيبة ما هي الغيبة؟ ومن أي أصل لغوي اشتقت؟ وما هي الجارحة التي تقترفها؟ وما هو ضررها على الفرد وعلى المجتمع؟ وما هو دليل تحريمها؟ وما الفرق بينها وبين البهتان والأذى؟

عرف النبي صلى عليه وسلم الغيبة بقوله: ذكرك أخاك بما يكره مما هو فيه وذلك في حديث أبي هريرة الذي أخرجه الإمام مسلم في صححه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟ قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ. قيلَ: أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ) رواه مسلم (٢٥٨٩).

وهي مشتقة من الغيبة أي الحديث عن الشخص الغائب إذ لو كان حاضر لما استطاع أن يوجه إليه أي كلمة.

والغيبة من محارم اللسان ومن جناياته على صاحبه والجوارح تشتكي من اللسان وما يجره الكلام من الآثام وقد أمرنا رسول الله صلى عليه وسلم بكف اللسان.

ففي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الذي يرويه الترمذي قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا) رواه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وأحمد (٢٢٠٦٨) مشيرا إلى لسانه.

وقد حرم الله الغيبة لما فيها من ضرر على العلاقات بين الناس حيث تؤدي إلى الكراهية بين الناس وإثارة العداوات وهذا من أعظم البلايا وهي تتنافى مع مقاصد الشريعة فقد قال تعالى: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) [الحجرات: ١٢] وهي صورة كريهة تنفّر من الغيبة.

ومن جرائم اللسان كذلك النميمة

النميمة: وهي جريمة أخرى من جرائم اللسان تدل على حقارة فاعلها ودناءته حيث جعل همه نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم سواء كان ما ينقله بهتانا أو غيبة فنقله لصاحبه على وجه الإفساد هو النميمة المحرمة شرعا المذمومة طبعا وعرفا وهي من الأوصاف التي ذم الله بها الكفار من أمثال الوليد بن المغيرة فقال الله في شأنه: (هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) [القلم: ١١-١٢] وقد حرم الله الجنة على من اتصف بهذه الصفة ففي الصحيحين من حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ) رواه مسلم (١٠٥) البخاري (٦٠٥٦) بلفظ: "قتات" وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بحَائِطٍ مِن حِيطَانِ المَدِينَةِ، أوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبُورِهِمَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: يُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ ثُمَّ قالَ: بَلَى، كانَ أحَدُهُما

لا يَسْتَتِرُ مِن بَوْلِهِ، وكانَ الآخَرُ يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ. ثُمَّ دَعَا بجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ علَى كُلِّ قَبْرٍ منهما كِسْرَةً، فقِيلَ له: يا رَسولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هذا؟ قالَ: لَعَلَّهُ أنْ يُخَفَّفَ عنْهما ما لَمْ تَيْبَسَا أوْ: إلى أنْ يَيْبَسَا) رواه البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢).

أما الحسد فهو من أمراض القلب وهو الذي أخرج إبليس من الجنة فقد حسد أبانا آدم على أن أسجد الله له ملائكته فرفض السجود له متعللا بأنه خلق من طين فقد حكى الله عنه قوله (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر: ٣٣] وقال: (قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ) [ص: ٧٦] فكتب الله عليه اللعنة وأخرجه من الجنة (قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ) [ص: ٧٧-٧٨]

وحقيقة الحسد:أنه تمني زوال نعمة أنعم الله بها على عبد من عباده وهو في حقيقته اعتراض على قدر الله وعدم رضى بما قسمه وقضاه وقد وصف الله به أهل الكتاب المؤمنين بالجبت والطاغوت فقال بعد الحديث عنهم (أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ) [النساء: ٥٥]

وخلاصة الأمر أن الغيبة والنميمة من محارم اللسان وأنهما وسيلتان من وسائل الشيطان لإشعال فتيل الحرب بين الناس وأنهما رذيلتان خلقيتان تأباهما الفطرة والذوق السليمان وترفضهما شريعة الإسلام

أما الحسد فهو من أعظم أمراض القلوب الفتاكة ولا يتضرر منها أساسا إلا الحاسد نفسه لأنه لا يرضى بقدر الله وهو لا يملك له إزالة، ولكي يسلم الإنسان من آفات اللسان وأمراض القلوب فلا بد له أن يتسلح بالعلم.

العـــــدل وخـــــطورة الظـــــلم

إن الله قد جعل العدل من أهم الموازين التي وضعها للخلق وجعله صفة من أحسن الأخلاق ومكارمها، والعدل هو ضد الظلم والجور وهو في اللغة يطلق على الإنصاف والقسط.

واصطلاحا:هو إعطاء كل ذي حق حقه، وقد أمر الله به في كتابه العزيز فقال: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ) [النحل: ٩٠].

وهو الذي تستقيم به الحياة البشرية وتصلح، وبه يتماسك المجتمع ويترابط، وهو من أهم المبادئ الإسلامية التي تحقق سعادة الفرد والجماعة وقد جسد ذالك الإسلام بقول النبي عليه الصلاة والسلام (لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى) رواه أحمد (٢٣٤٨٩) وجسده عملا وذالك عندما سرقت المخزومية وهم قريشا أمرها فقالوا من يكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم قالوا ومن غير أسامة ابن زيد حب رسول الله وابن حبه، فذهب إليه فغضب عليه الصلاة والسلام وقال: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟) ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ. وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ. وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) رواه البخاري (٦٧٨٦) ومسلم (١٦٨٨) وهذا هو حقيقة العدل أي أنه لا فرق بين بنته عليه الصلاة والسلام وبنات المسلمين، والأمة الإسلامية مطالبة بتحقيق العدل لأنه أساس الحياة الكريمة وهو أساس النجاح والتطور والوصول إلى

مقدمة الأمم، والعدل مطلوب في جميع مجالات الحياة سواء الاجتماعية أو القضائية أو العملية وفي أمور المجتمع كافة.

ومن أمثلة العدل في الإسلام: العدل بين الزوجات والعدل بين الأبناء فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهده على هبة لأحد أبنائه فقال له صلى الله عليه وسلم هل أعطيته لكل أبنائك، قال لا فقال عليه الصلاة والسلام: (لا تُشْهِدْنِي علَى جَوْرٍ) رواه البخاري (٢٦٥٠)، ومسلم (١٦٢٣).

والعدل يجب أن يتحقق من أعلى المستويات في الدولة فالحاكم العادل ينظم أمور دولته بالعدل ومن خلاله يسود العدل بين الناس وقد أمره الله بالعدل فقال: (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ) [النساء: ٥٨] والأب العادل يسير أمور أسرته بالعدل فيعدل بينهم في التعليم وفي النصح والإرشاد سواء كانوا ذكورا أو إناثا، ورب العمل يعدل بين عماله بمكافأة المجتهد وتأديب المتكاسل وبذلك تزدهر تجارته وينمو ماله، والعدل مطلوب أيضا في مجال التجارة والبيع فقد أمر الله بالقسط فقال (وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ) [الإسراء: ٣٥] وقال عليه الصلاة والسلام: (مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي) رواه مسلم (١٠٢).

وبوجود العدل ينتشر الأمن والطمأنينة بين الناس، وقد قال رسول كسرى إلى الخليفة العادل عمر الفاروق مقولته الخالدة لما وجده نائما تحت شجرة فقال: (حكمت فعدلت فأمنت فنمت)

والعدل مطلوب في الشهادة وحتى على النفس والأقربين قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ) [النساء:

١٣٥] ولا ننسى أن العدل مطلوب من كل شخص حسب مسؤوليته فقد قال عليه الصلاة والسلام (كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) رواه البخاري (٢٥٥٤)، ومسلم (١٨٢٩) والإسلام دعا إلى العدل مع كل أحد حتى مع الخصم الذي بينك معه شجار أو شنآن فقد قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) [المائدة: ٨].

ونشر العدل وإشاعة قيمه بين الناس يقتضي بالضرورة التعرف على خطورة الظلم ومحاربته.

فالظلم لغة: هو الجور والانحراف وهو عبارة: عن وضع الشيء في غير محله.

وفي الشرع: هو الإعراض عن الحق وقبول الباطل.

وقد قال العلماء أن الظلم أنواعه ثلاثة:

النوع الأول: الظلم الذي بين الإنسان وربه ومن أعظمه الكفر، والشرك، والنفاق، قال تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان: ١٣] وقال: (أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ) [الأنعام: ١٨]

النوع الثاني: ظلم الإنسان للإنسان: ويتمثل في قتله، وأكل ماله، وشتمه، فقد قال تعالى (وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [الشورى: ٤٠] وقال تعالى: (إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [الشورى: ٤٢] وقال عليه الصلاة والسلام (اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ) رواه مسلم (٢٥٧٨).

النوع الثالث: ظلم العبد لنفسه وقال تعالى على لسان نبيه موسى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [القصص: ١٦] وقال تعالى: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) [فاطر: ٣٢]

وكل هذه الأنواع في الحقيقة هي ظلم للنفس لأن الإنسان عندما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، وأمثلة الظلم كثيرة لا حصر لها ومن أخطرها الشرك والكفر فإن الله لا يغفره أبدا قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا) [النساء: ٤٨] ثم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق فقد قال تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النساء: ٩٣] والزنا قال الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) [الإسراء: ٣٢] وأكل مال اليتيم قال تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) [الأنعام: ١٥٢] وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) [النساء: ١٠] ومن المعلوم أن يوم القيامة لا درهم ولا دينار وإنما الحسنات والسيئات .

فقد قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى

هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) رواه مسلم (٢٥٨١).

وقد قال ابن الجوزي: الظلم يحتوي على معصيتين أخذ مال الغير ومبارزة الرب بالمعصية والمعصية فيه أشد من غيره لأنه لا يقع إلا على الضعيف في الغالب الذي لا يقدر على الانتصار لنفسه ويدل على قسوة القلب وغفلته،

وقال ابن تيمية: إن الناس لم يتنازعوا في أن الظلم عاقبته وخيمة وأن العدل عاقبته كريمة فالظالم سيندم أشد الندم على ما اقترفه من ذنب لكن حين لا ينفع الندم قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ) [الفرقان: ٧٢]

وقال الشاعر

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

وروي عن يوسف ابن أسباط أنه قال: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله على أرضه

والظلم له أسباب يجب الحذر منها

أولا: الشيطان:

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ) [النور: ٢١].

ثانيا: النفس الأمارة بالسوء قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

ثالثا: الهوى: قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء: ١٣٥].

كما أن هناك أمورا تعين الإنسان في تجنبه ومنها

تذكر أن الله نزه نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه وعلى عباده فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وقال في الحديث القدسي (يا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا) رواه مسلم (٢٥٧٧).

أخذ العبرة من سوء عاقبة الظالمين قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢] وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

عدم اليأس من رحمة الله قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

استحضار مشهد الفصل يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

الذكر والاستغفار قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

كف النفس عن الظلم ورد الحقوق إلى أصحابها قبل أن يكون لا درهم ولا دينار وإنما الحسنات والسيئات.

والظلم خطير ومهلك لأصحابه فهو يجر غضب الرب سبحانه، ويسلط عليه شتى أنواع العذاب، وصاحبه يحرم شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام،وهو دليل على قسوة القلب وغفلته، وعدم الأخذ على يد الظالم يفسد الأمة ويدمرها ولقد دمرت الأمم السابقة بسبب ظلمها فقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

والظلم معصية تعجل عقوبتها في الدنيا لأنه متعد للغير، وصاحبه لا تقوم له قائمة لأن المظلوم يتضرع إلى الله بالدعاء وقد قال عز وجل في الحديث القدسي: (عزَّتي وجلالي لأنصرَنَّكَ ولَو بعدَ حينٍ) رواه الترمذي (٣٥٩٨) وابن ماجه (١٧٥٢) وأحمد (٨٠٣٠).

ويكفينا من أهمية محاربة الظلم أن الأنبياء بعثوا ومنهم نبينا محمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام لغرض تحطيم قواعد الظلم وتحطيم قصوره، ونحن نعلم أن الدين الإسلامي من قواعده ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩] وقال يزيد ابن حاتم

ما هبت شيئا هبتي لرجل ظلمته وأنا أعلم ألا ناصر له إلا الله يقول حسبي الله ونعم الوكيل، فينبغي أن نحذر الظلم ونبتعد عنه لنسلم من عقوبة من يعلم السر وأخفى.

وأخيرا نقول قول الله تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وأهم وسيلة للنجاة من الظلم هي: التمسك بالكتاب والسنة.

الاهتـــــمام بأمـــور المسلمـــين

إن رابطة الدين هي أعظم وأقوى الروابط على الإطلاق، فهي أقوى من رابطة النسب التي تنفك بمجرد النفخ في الصور(فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ) [المؤمنون: ١٠١] وهي كذلك أقوى من رابطة الجوار التي تنفك بالموت، وهي أقوى من رابطة المصالح التي تنقطع باختلاف المصالح...

أما رابطة الإسلام فإنها لا تنفك حتى في القيامة (ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٦٧]

وقد كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين جماعة وأفرادا في جميع أمورهم جليا في كل حياته من ذلك همه وحزنه حين قدم إليه قوم من مضر عليهم علامات الفقر الشديد، فرغّب في المواساة والإنفاق حتى رأى بين يديه كومين من طعام وثياب فتهلل وجهه، وكان قبل ذلك قد آخى بين المهاجرين والأنصار، كما ثبت عنه أنه مكث شهرا يدعوا للمستضعفين من الذين يعانون إيذاء المشركين في مكة كما يدعو على من ظلمهم.

وحين أتاه سلمان الفارسي يعلمه أنه كاتب على مال ونخل حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين على مؤازرة سلمان، فاجتهدوا في جمع المال لسلمان واجتمعوا على غرس النخيل ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرس بيديه الشريفتين.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لحمة المسلمين وتكاتفهم ونصرة بعضهم لبعض، مؤكدا صفات الأخوة وأماراتها بين المؤمنين الموصوفين في قول الحق تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] يقول صلى الله عليه وسلم: (مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم ، وتَراحُمِهم ، وتعاطُفِهِمْ . مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) ويقول: (إنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) رواه البخاري (٦٠٢٦) ومسلم (٢٥٨٥) ويقول: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

ومع القول بوجوب نصرة المسلم لأخيه المسلم، فإن في مواساة المسلمين والإهتمام بأمورهم من الفضائل ما يجعل المؤمن المخلص الصادق يرغب ويسعى في الإهتمام بأمور المسلمين اهتماما يثمر رعاية مصالحهم في جميع أحوالهم... من تلك الفضائل:

أن نصرة المؤمنين علامة صدق الإيمان وسبب في رحمة الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

نصرة ومواساة المسلمين اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وطاعة له، وذلك سبب للهداية ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤].

نصرة المسلمين سبب لتفريج كربات يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم: (من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ) رواه مسلم (٢٦٩٩).

جمعية الدعوة والتعليم
باللغات الأفريقية
Da'wah and Education in African Languages

الثقافة الإسلامية

منهج مخصص للدورات الشرعية القصيرة

إعداد جمعية الدعوة والتعليم باللغات الأفريقية